اللغة والأدب–مجلة علمية محكّمة
ISSN: 1111–1143 EISSN: 2602–5202
العدد: 33 المجلد: 18؛ الشهر/السنة: 2021

Language and Literature
A peer-reviewed Scientific journal
Issued by
the Departement of Arabic Language
and Literature

اللغة والأدب
I.S.S.N: 1111–1143
E.I.S.S.N: 2602–5205

اللغة والأدب
مجلة علمية محكّمة
يصدرها
قسم اللغة العربية
وآدابها

الافتراض المسبق وأثره في توجيه الخطاب الديني

(الحديث القدسي انموذجا)

Presumption and Its Effect on Directing the Religious Discourse

محمد العربي حويذق **Mohamed al-Arabi Hwideq**

طالب دكتوراه ،مخبر الدراسات الافريقية للعلوم الانسانية والعلوم الاجتماعية جامعة أحمد دراية –أدرار

PhD Student, Laboratory of African Studies for Humanities and Social Sciences, Ahmed Derayah University – Adrar

Hadouga75@gmail.com

أ.د: اكرام تكتك جامعة أدرار **Professor Ikram Tektek, University of Adrar**

المؤلف المرسل(باللغتين): الاسم الكامل:	الإيميل:
محمد العربي حويذق Mohamed al-Arabi Hwideq	Hadouga75@gmail.com
تاريخ الاستلام: 2020–01–25	تاريخ القبول: 2021–10–13

ISSN: 1111–1143 EISSN: 2602–5202
العدد: 33 المجلد: 18؛ الشهر/السنة: 2021

الملخص:

يحظى الخطاب الديني بقدسية مميزة واهتمام خاص في جميع المجتمعات الانسانية لما له من تأثير بالغ عن الرّوح ودغدغة العواطف السّامية للارتقاء بها إلى عوالم الكمال الانساني , فهو بذلك ينماز عن كل أنواع الخطابات الأخرى بخصوصية منقطعة النّظير تمكّنه من اعتلاء هذه المكانة الجليلة, فكان لزاما عن الدّراسات اللّغوية الحديثة ان تهتم بالحديث القدسي وخاصّة لسانيات النّص وتحليل الخطاب في جوانبه التركيبية ووظائفه الاتّصالية؛ لذا تسعى هذه الورقة إلى نقل الحديث القدسي إلى أفق أرحب من السياق النّصي الذي وُضع فيه باستخلاص استراتيجياته الخطابية التي جمعت بين الإقناع والإمتاع, وابراز الآليات التي اعتمدها للّتعامل مع المخاطبين والمتلقين على اختلاف طبقاتهم ومستوياتهم, مُبرزة دور "الافتراض المسبق" في توجيه هذا الخطاب وفق المناهج التي اعتمدها اللغويون القدامى والمحدثين .

ففي ما تتمثل استراتيجيات الخطاب الديني؟ وما دور الافتراض المسبق في توجيه هذا الخطاب؟

الكلمات المفتاحية: استراتيجية الخطاب– الافتراض المسبق –الحديث القدسي.

Abstract:

Religious discourse has a distinct sanctity and special attention in all human societies because of its profound impact on the spirit and its capacity to tickle the supreme emotions and elevate them to the worlds of human perfection. It thus differs from all other types of discourse by an unrivaled feature that enables it to take this distinguished position. It was, therefore, was necessary for modern linguistics studies to pay attention to the Hadith Qudsi, especially text linguistics and discourse analysis in its structural aspects and communicative functions. This paper seeks then to transfer the Hadith Qudsi to a broader horizon than the textual context in which it was drawn up, by extracting its rhetorical strategies that combined between persuasion and enjoyment, and to highlight the mechanisms it adopted to deal with the target audience and recipients of different strata and levels, showing the role of 'presumption' in guiding this discourse in accordance with the methods adopted by ancient and modern linguists.

So, what are the strategies of religious discourse? What is the role of presumption in directing this discourse?

Keywords: discourse strategy, presumption, Hadith Qudsi

1–مقدمة:

جاء في لسان العرب لابن منظور" الخطب" الشأن والأمر صغر أو عظم, وقيل هو سبب الأمر. والخطاب والمخاطبة: مراجعة الكلام, وقد خاطبه بالكلام مخاطبة وخطابا, وهما يتخاطبان [i] والمراجعة لا تكون إلا بوجود طرفين لما تقتضيه صيغة مفاعلة, ومن ثم فالخطاب يسير في اتجاهين بين مرسل ومتلقي.

وجاء في محيط المحيط الخطاب مصدر خاطب وهو بحسب أصل اللغة توجيه الكلام نحو الغير للإفهام, وقد يعبر به عما يقع به التخاطب (أي أنه يستعمل الذي يخاطب به الرجل صاحبه) ونقيضه الجواب وفصل الخطاب الفصاحة والحكم بالبينة أو اليمين والفقه في القضاء [ii] وفي معجم العين للخليل فالخطاب مراجعة الكلام , أما الزمخشري فقد أورد في أساس البلاغة : خطب : خاطبه أحسن الخطاب وهو المواجهة بالكلام [iii].

1.2:الخطاب ف التراث الاصولي : ذكر الأصوليون في مدوناتهم مصطلح "فحوى الخطاب" وهو ما يفهم من نفس الخطاب من قصد المتكلم لعرف اللغة, نحو قوله تعالى : ﴿ لى لي ما مم نر نز نم نن ني ىٰ ير يز يم ين يى يي ئج ئح ئخ ئم ئه بج بح بخ بم به تج ﴾ الإسراء–23 فهذا يفهم منه من جهة اللغة المنع من الضرب والشتم..."

ألحق أبو حامد الغزالي مصطلح فحوى الخطاب بمراتب العلوم و كذلك درك قرائن الأحوال من الخجل فيحتاج هذا المفهوم الإجرائي إلى [4]والغضب والوجل قدم راسخة في المعجم اللغوي، ومعرفة عميقة بالاستعمالات اللغوية التي تتماثل مع العناصر اللسانية المجاورة لها، ولا يستقيم المعنى إلا بتوفر مفهوم الانسجام, وقد سجل
في التراث الأصولي، كذلك ما يسمى "بمفهوم المخالفة"؛ وهو أن يشعر المنطوق بأن حكم المسكوت عنه مخالف لحكمه ويطلق عليه اسم "دليل الخطاب" يظهر من خلال التعريف أن الحكم و الفهم المتعلق بالنسق الغائب يتنافى مع قصدية النسق المصرّح به .

2.2:أنواع الخطاب :لجأ الدارسون إلى تصنيف الخطاب، ووضعه في توصيفات كثيرة ترتبط بملفوظه , كالخطاب اللساني، السردي. وتتعلق بقناة الاتصال كالإذاعي والتلفزيوني، يتم ربطها بالحامل الذي يقوم بنقلها كالشفوي، والخطاب البصري المتمثل في الصور الفوتوغرافية مثلا، (support) وهناك أيضا أنواع من الخطاب تستمد تسميتها من إحالاتها المرجعية وأسبقيتها المقامية كالسياسي والقضائي والتاريخي والديني. وأخذت أنواع أخرى أصنافها بناء على وظيفة الرسالة الاتصالية كالخطاب الحجاجي، والصحفي، والشّعري، والفني الجمالي. وذكروا أنواعا تتعلق بالممارسة التحليلية للخطاب كالنقدي والسيميائي والتداولي.

يمكن التنبيه إلى أن "أكبر مشكلة تواجه الدارسين تتمثل في وقف تكاثر الأنواع، يمكن فرز عدد كبير من الانواع الفرعية للأحداث العامة (faits divers) ولكن يتعذر حصر أصنافه في مجموعة معينة، وفرض نوع من القوالب الجاهزة لقياس صنف الخطاب أو إلحاقه بالأجناس المتداولة بين الدارسين, بدليل أن الخطاب

الصحفي مثلا يتنوع إلى أصناف كثيرة كالافتتاحي والعمود، والتحقيق والروبورتاج والحوار الصحفي. وقد ألحق بعض الباحثين نوعا آخر يرتبط بالعملية النقدية، حيث أنها ممارسة الخطاب على الخطاب ،فالناقد يكتب خطابا شارحا وواصفا لخطاب سردي مثلا، ولا يخرج فيه عن السياق النّصي.

ويحتاج النوع الخطابي إلى حضور أطراف العملية الاتّصالية لتوصيفه، لأن الخطابات ترتبط في تسميتها بالمرسل أو المتلقي أو القناة أو الرسالة. وقد حاول بعض الباحثين نمذجة الخطابات بوضع مخططات تسهل العملية، وتربط الرسالة بالمقامات السياقية.

3.2:الخطاب الديني: يوصف الخطاب (بالديني) نسبة إلى الدين, والدين في اللغة : الجزاء والمكافأة, يقال : دنته بفعله؛ أي جزيته, ويوم الدين : يوم الجزاء. ومنه قوله تعالى (إنّا لمدينون) أي محاسبون مجزيون.

ويطلق بمعنى الطاعة, يقال: دنت له؛ أي اطعته. ومعه أديان[iv]وهذه المعاني جعلها ابن فارس ترجع الى أصل واحد وهو جنس من الانقياد والذّل [v] وسميت الأديان السّماوية ديناً لأنّها تجعل أهلها مطيعين وخاضعين لتعاليمها وأحكامها, وتحملهم على أن يتخذوا أحكامها عادة يلتزمون بها. والمسلمون يعنون بالدّين الاسلام, وأمّا غيرهم فيقصدون عموم الأديان أو حتى الاسلام. ويطلق مصطلح "الخطاب الديني " على أحد معنيين, أحدهما عام والآخر خاص, **فالمعنى الأول:** أن الخطاب الديني كل سلوك أو تصرف يكون الباعث عليه الانتماء إلى دين معين, سواء أكان الخطاب مسموعا أو مكتوبا أو كان ممارسة عملية . ويظهر ذلك في كتابات غير المسلمين؛ اذ يعدّون كل تصرّف من المسلمين يكون الباعث عليه دينيا لونا من ألوان الخطاب الاسلامي . **أما المعنى الثاني** :ويراد به ما يصدر عن رجال الدين من أقـــوال أو نصـــائح أو مواقف سياسية من قضـايا العصر ويكون مستندهم فيها إلى الدّين الذي يدينون به . والمصطلح الشّائع عند المسلمين ليس (رجال الدين) بل أهل العلم وأهل الذكر أو علماء الشريعة أو الاجتهاد ,أو المجتهدون, أو أهل الفتوى, أو المفتون, فالمسلمون لا يحصل عندهم التفاوت في الانتساب فكلهم مسلمون, بل التفاوت يحصل بين المجتهدين والمقلدين, أو بين العلماء والعامة والمفتين والمستفتين قال تعالى ﴿ ضج ضح ضخ ضم طح ظم عج عم غج غم فج فحفخ فم قح قم كج كح كخ كل كملج لح لخ لم له مجّ الزمر–9 فالعلماء هم الذين يحق لهم التّكلم باسم الاسلام وتبيان للنّاس أحكامه , ويُرجع إليهم في مسائل الاجتهاد الغير معلومة من الدّين قال تعالى ﴿ لخ لم لى لي مج مح مخ ممى مي نج نح نخ نم نى ني هجّ النحل–43.

ولذا فالخطاب الديني الاسلامي يجب أن يكون محصورا في خطاب من هو أهل لأن يجتهد في بيان شرع الله, فكل خطاب إسلامي يصدر من غير أهل الاجتهاد لا يجوز أن يسمى إسلاميا, ولا يجوز أن نحمل

الإسلام أخطاء العوام في ممارستهم للدّين أو فهمهم له .

3:مفهوم الافتراض المسبق :

هو من فرضت الشيء فرضا, وفرضته للتكثير؛ أي أوجبته, وفرض الله علينا كذا, وافترض أي أوجب, والاسم الفريضة وقوله تعالى: ألآ لخ لم لى لي مج مح مخ مم مى مي ّ النور–1وقرئ (وفرضناها) , فمن خفف أراد : ألزمناكم العمل بما فرض فيها ومن شدد فعلى وجهين : أحدهما على التكثير على معنى : إنّا فرضنا فيها فروضا, والآخر يكون على معنى بيّنّا وفصّلنا ما فيها من الحلال والحرام والحدود , (وفرضناها)أي بيّنّها , والفرض : الحزّ في القدح , ومنه فرض الصّلاة وغيرها إنّما هو لازم للعبد كلزوم الحزّ للقدح. والفرض ضرب من التمر, الفرض الترس , والفرض: الهبة, يقال : ما أعطاني من قرضاً ولا فرضاً والفرض : القراءة, يقال : فرضت جزئي أي : قرأته, الفرض : السّنة فرض رسول الله أي سنّ, وقيل: فرض رسول الله أي أوجبه وجوبا لازما . والفرض: جند يفترضون. وفرض له في العطاء بفرض فرضا وأفرض له فريضة . والفرض مصدر كلّ شيء تفرضه , فتوجب على إنسان بقدر معلوم, الاسم الفريضة. وفرض مسواكه فهو يفرضه فرضاً, إذا قرضه بأسنانه, والفارض الضخم من كلّ شيء, الذّكر والأنثى فيه سواء, وقوله تعالى: ألآ جح جم حج حم خج خم سج سحسخ سم صح صخ صم ضج ضح ضخ ضم طح ظم عج عمغج غم فج فح فخ ّ البقرة 68 أي الهرمة , وقيل الكبيرة العظيمة , والفرضة : المشرعة, وجمعها فراض, يقال : سقاها بالفراض أي من فرضة النهر, والفرضة هي: التلمة في النهر..

تعود المحاولات الأولى لدراسة الافتراض السابق –كما يذكر محمود نحلة –إلى فيلسوف آخر من أكسفورد هو ستراوسن 1952 Strawsonالذي أعاد إنتاج مفهوم كان قد ظهر فعلا على يد الرياضي الألماني فريجه1892 Frege بوصفه مشكلة من مشكلات علم الدلالة المنطقي المؤسس على الصدق [vi]

وتقول "أوركوني" عن الافتراض : "نُصنف في خانة الافتراضات كل المعلومات التي, وإن لم تكن مُقرّرة جهراً " أي تلك التي لا تُشكل مبدئياً موضوع الخطاب الكلامي الحقيقي الواجب نقله, "إلا أنها تنتج تلقائيا من صياغة القول التي تكون مدونة فيه بشكلٍ جوهري, بغض النّظر عن خصوصية النطاق التعبيري الأدائي " [vii] وتشرح أوركوني مفهوم الافتراض وتوضح بأنه يلتصق بالمعنى التصاقا فتذكر :" هذه المعلومات المفترضة يمكن أن تكون ذات مستويات مختلفة (بالمعنى الذي يستعمل فيه جاكبسون هذا المصطلح). بيد أن ما يُثير اهتمامنا بشكل أساسي إنما هو مستوى القول , وبالتالي, نقول على سبيل المثال إن في جملة " اقلع بيار عن التدخين– Pierre a cessé de Fumer " ينقل الفعل "أقلع" cessé افتراضا معجميا , يتخذ من الاستدلال المُفترض (ويمكننا أن نسميه بشكل مُختصر: الافتراض) وهو كان بيار يُدخن سابقا/ Auparavant Pietre fumait قاعدة يرسي عليها أسسه " [viii]

وتوصف –ذهيبة حمو الحاج–الافتراض المسبق على أنها أفعال كلامية افتراضية يقول :" من الممكن وصف الافتراضات المسبقة على أنها أفعال كلامية افتراضيةActes présuppositionnels de, فهي

في نفس درجة الأمر والاستفهام ... فلو تلفظنا ب:" أغلق فمك", فلا بد أن يكون له تأثير في المستمع (المخاطب) , ولهذا الأخير القدرة على الطاعة وتأويل القول , بمعنى إغلاق الفم الذي هو مفتوح مسبقا, ولا تسند وظيفة الآمر إلا لمن وجد في له بإصدار الأوامر..." [ix]

ويقول مسعود صحراوي عن الافتراض المسبق:" في كل تواصل لساني ينطلق الشّركاء من معطيات وافتراضات معترف بها ومتفق عليها بينهم, وتشكل هذه الافتراضات الخلفية التواصلية الضرورية لتحقيق النجاح في عملية التواصل, وهي محتواة ضمن السياقات والبنى التركيبية العامة " [x].

فهو بذلك يؤكد على وجود الافتراض المسبق ومراعاة أهميته في كل عملية تحاورية تواصلية, والهدف منها إبراز المعنى ووضوح غايات القصد لأجل التنسيق والانسجام بين المرسل والمرسل إليه وهذا لا يتأتى إلا بحضور الافتراض المسبق في كل عملية تواصلية لإنجاح هذه العملية –كما يرى مسعود صحراوي–

1.4:مفهوم الاستراتيجية : يورد –عبد القادر لورسي– في كتابه المرجع في التعليمية " بأن الاستراتيجية" تعني في الأصل الكيفية أو الخطة التي يتبعها الشّخص لبلوغ هدف معين يدخل في حقل اهتمامه .وهي مشتقة من اليونانية حيث تتركب من جزئين :جيش STRATOS وقائد العمليات AGEL وشقّي الكلمة هما:STRATEGIE STRATOS+ AGE= وهي تعني في القانون اليوناني : فن التّغلب . ويضيف عبد القادر بأن هذا المصطلح يستمد مدلوله من الفنون العسكرية , ويتناول الوسائل التي يمكن الأخذ بها في قيادة الجيوش إذ يعرّفها البعض بأنّها "فن التخطيط والتوجيه في العمليّات العسكرية " والتّي ترجع إلى الطرق والوسائل الموصلة إلى الهدف , ويرى البعض الآخر أنها وسيلة مخططة للوصول إلى التغيير".[xi]

2.4:الاستراتيجية في الخطاب:

إنّ للسّياق دورا بارزا في تحديد كيفية ونوعية الخطاب المستعمل لدى المتكلم , " فلا خطاب دون انخراط المرسل في سياق معين , كما لا يتجلى الخطاب دون استعمال العلامات المناسبة ؛ فقد يستعمل المرسل اللّغة الطبيعية , كما قد يستعمل بعض العلامات غير اللغوية , ليمارس بها خطابا قد يوصف بأنه نوع من السلوك , ويتنوّع تصنيف السلوك ,فقد يوصف بالسلوك المتأدب , أو بالسّلوك العدواني وغير ذلك من الأوصاف . ومن هنا نجد أن التّواصل بين النّاس لا يتوقف على اللّغة الطبيعية وحدها , بالرغم من أن الانسان لا يستغني بذلك عن استعمالها في الفعل التّواصلي مع الآخرين , سواء أكان هذا الاستعمال مكتوبا أم شفاهة " [xii]

ويختلف الخطاب باختلاف المرسل والمرسل إليه فالخطاب اختياري ؛ "حيث تضل إستراتيجياته مؤهلة لإنتاج أيّ من الشّكلين . فالتأدّب مثلا يعد هو الاستراتيجية الأنسب لمخاطبة الأصدقاء , سواء أكان الخطاب مكتوبا أو شفهيا؛ إذ يكمن الاختلاف الناشئ وفقا لذلك في تباين بعض سمات الخطاب الشّكليّة التي تظهر في مستويات اللّغة, مثل التراكيب من حيث طولها وقصرها وثبات السّياق اللّغوي في المكتوب أكثر منه في الخطاب الشّفهي, لما يضيفه التّلفظ من خصائص تداولية , مثل التّنغيم والوقفات الصوتيّة المستعملة

وغيرها . وبهذا يتّضح أنّ استراتيجية الخطاب نتاج لمرحلتين متكاملتين , هما:

–المرحلة الذّهنية , وفيه يجري تفعيل القوالب السّالفة الذّكر .

– الخطاب ذاته , بلغته في مستوياتها المستعملة ." [xiii]

1.5: تعريف الحديث القدسي : أ–لغة: يذهب أبو هلال العسكري أن الحديث –في الأصل – هو ما تخبر به عن نفسك من غير أن تسنده إلى غيرك, وسمي حديثاً لأنّه لا تقدّم له وإنّما هو شيء حدث لك فحدثت به [xiv]

تتفق معظم المعجمات العربية على معنى الجدِّ في الحديث, كقول ابن فارس (392هـ) في معجم مقاييس اللغة (الحاء والدال و الثاء) أصل واحد, وهو كون الشيء لم يكن. يقال حَدَثَ أمر بعد لم يكن... والحديث عن هذا؛ لأنّه كلام يحدث منه الشيء بعد الشيء [xv], فإطلاق الحديث على الكلام يُعد فرعا من الأصل الذي هو نقيض القديم [xvi] لا لأنّه الأصل كما ذهب العسكري .

وقد استعمل القرآن الحديث بهذا المعنى , أي للدلالة على الكلام تخصيصاً من المعنى العام , فقال تعالى ﴿ وجاء في كليات 34هى هي يج يح يخ يم يى ﴾ الطور – أبي البقاء أن الحديث هو اسم من التحديث وهو الإخبار [xvii] ثم سُمي به قول, أو فعل , أو تقرير نسب إلى الرسول صلى الله عليه وسلم.

ب–اصطلاحاً: هو كل ما أثر عن النبي من قبل وبعد البعثة, فغالبا ما يروى عن النبي [xviii]

ويعرف الصبابطي في كتابه "جامع الاحاديث القدسية" الحديث القدسي بقوله:" هو ما رواه عن ربّه تبارك وتعالى على غير النسق القرآني ونظمه وإعجازه , ولكنه في نظمه وأسلوبه بسائر الحديث النبوي أشبه " [xix]

واختُلف في إضافة هذه الاحاديث إلى الله عز وجل وهل هي كإضافة القرآن الكريم ؟ أم كإضافة معنى السنة عامة إلى الله تعالى؟ وأشكلت الأحاديث القدسية على علماء السّلف, إذ هي مضافة إلى الله عز وجل باعتبارها من قوله, أو مما يرويه رسول الله عنه فلا خلاف أن معانيها من الله تعالى, وإنما الخلاف على لفظها, هل هو لفظ رباني أم نبوي؟. ويمكننا أن نصنّف الآراء الواردة إلى ثلاثة أقسام :

أولها: أن لفظ الأحاديث القدسية ومعناها من الله تعالى وهو رأي ابن حجر الهيثمي, في قوله عنها: " فهي من كلامه تعالى, فتضاف إليه وهو الأغلب, ونسبتها إليه حينئذٍ نسبة إنشاء, لأنّه المتكلّم بها أولاً, وقد تضاف إلى النّبي لأنّه المخبر بها عن الله تعالى " [xx]

ثانيها: إنّ لفظ الأحاديث القدسية من الرّسول ومعناها من الله تعالى [xxi] وقد ذهب إلى هذا الرأي : أبو البقاء الكفوي [xxii]

ثالثها: الرأي الذي نقله أحمد بن مبارك في كتابه الإبريز عن شيخه عبد العزيز الدباغ وخلاصته أن الأحاديث من كلام رسول الله , ولكنّها تتميز بأنوار خاصة [xxiii]وتقف أغلب الآراء مع الرأي الثاني .

2.5:استراتيجيات الخطاب في الأحاديث القدسية :

تقوم الأحاديث القدسية على استراتيجيات متنوعة تيسير عملية التخاطب, وتحقق نجاح التواصل

والتفاعل بين النص والمتلقي, فالسياق التداولي الذي ترد فيه هذه الأحاديث من أهم الطرق الموصلة إلى فهم مقاصده, والتي هي الوعظ والإرشاد وهداية البشرية وتقوية صلتها بالمولى عز وجل .

والأحاديث القدسية مزودة بالمقومات التواصلية ؛ اذ يتفاعل المتلقي فيها مع النص وذلك لقداسته ومرسله ف« مرسل الخطاب هو الله سبحانه وتعالى، وقد بث خطابه عن طريق الرسول ... مما يعني أن هذه النصوص لا تسمح بقيام دائرة للتواصل يكون الله تعالى طرفا فيها، ومن هنا نكتفي بدائرة التواصل القائمة بين النص ومقاصده، والذي يعني في الأخير تحقيق عملية التفاعل بين النص والمتلقي بأنماطه وأشكاله المختلفة »[xxiv]

ويحتل المتلقي مركزا رئيسيا في الأحاديث القدسية ومن أجله تتعدد الاستراتيجيات الخطابية والوسائل والأدوات التواصلية , وتتنوع مستويات التلقي بما يتناسب وطبيعة المتلقين المتباينة في مستويات الفكر والطباع , فالحديث القدسي خطاب موجه إلى البشرية جمعاء, يُراعى فيه كيفيات التعبير عن المقاصد لكل صنف ؛ اذ تختار الاستراتيجيات الخطابية بما يلائم طبيعته ومداخل نفسه وعقله .

يقوم الخطاب في الأحاديث القدسية على الحوار الهادف والجدل الهادئ المشتمل على الإقناع والإمتاع ؛ حيث يخاطب العقل والوجدان ويوظّف التقنيات والوسائل اللغوية وغير اللغوية لإيصال المقاصد والأهداف , ويستعمل الصيغ البشرية المشتركة والمفهومة من قبل المخاطبين؛ فهو يستجيب لمتطلبات النفس البشرية في قضايا العقيدة والسّلوك , فيشبع حاجاتها ويوفّر لها الأمن والاستقرار , وهدفه في ذلك تقويم النفوس والارتقاء بها في مدارج القداسة .

ومن خلال أدوات الاتساق والانسجام في المستويات التركيبية والمعجمية والدلالية ينتقي الخطاب في الأحاديث القدسية استراتيجيات خطابية متنوعة موظّفة في نصوصه, فأحيانا يرد الأسلوب بصيغة صريحة محددة الأغراض , وأحيانا بصورة تلميحية في المواقف التي تزدوج فيها المقاصد وتتعدد فيها الأغراض, ويُفضّل فيها عدم التصريح المباشر بالقصد, وقد ترد بصورة اقناعية حجاجية فتوظّف الوسائل اللغوية وغير اللغوية لتحقيق الإقناع النفسي والعقلي, وهدف كل هذه الاستراتيجيات ايصال المقاصد وتبليغها للمتلقي وتحقيق الدعوة الفاضلة وتزكية الأنفس.

ويشكل السياق دورا مهما في اختيار الاستراتيجية الخطابية « فالسياق هو دليل المرسل في اختيار استراتيجيته الخطابية» [xxv] فتتعدد الاستراتيجيات بتعدد الظروف السياقية، وتتنوع بتنوع عناصر السياق المحيطة بالفعل، ومن هنا يمكن تحديد مفهوم استراتيجيات الخطاب بكونها «طرقا محددة لتناول مشكلة ما، أو القيام بمهمة من المهمات، أو هي مجموعة عمليات تهدف إلى بلوغ غايات معينة، أو هي تدابير مرسومة من أجل ضبط معلومات محددة والتحكم بها »[xxvi] وبهذا تكون الاستراتيجية خطة للوصول للغرض والمقصد المنشود إبلاغه للمتلقين على اختلاف طبقاتهم وطباعهم . ويعد السياق هو معيار تصنيف استراتيجيات الخطاب وعلى أساسه تصنف أنواع الاستراتيجيات ويشمل معايير متعددة، المعيار الأول هو المعيار الاجتماعي ويتعلق بالعلاقة بين طرفي التخاطب، ويتفرع عن هذا المعيار استراتيجيتان هما:

الاستراتيجية التضامنية، والاستراتيجية التوجيهية. والمعيار الثاني هو معيار لغوي ويتعلق بشكل الخطاب اللغوي للدلالة على قصد المرسل، وعن هذا المعيار تفرعت الاستراتيجية التلميحية. والمعيار الثالث هو معيار هدف الخطاب وعنه تفرعت الاستراتيجية الحجاجية [xxvii]وقد تتعدد الاستراتيجيات في النص الواحد، لتحقيق هدف الخطاب ذلك أن أهداف الخطاب قد لا تتحقق عبر نص واحد يشير للهدف بشكل كلي مباشر، ولكن تتحقق عبر تحقيق أهداف فرعية متتالية ومتوالية. وقد تعددت استراتيجيات التلميحية و الإقناعية الحجاجية، ولكل منها مسوغات استعمالها ووسائلها اللغوية التي تتحقق بها مقاصد الخطاب وأهدافه . وسنركّز في حديثنا هنا عن المعيار الاجتماعي والذي يتفرع عنه الاستراتيجيتان التضامنية والتوجيهية لما لهما من أهمية في الخطاب الديني.

أولا: الاستراتيجية التضامنية.

يتوقف اختيار الاستراتيجية في الخطاب على قصد المرسل وهدف الخطاب، واختيار مرسل النص للاستراتيجية التضامنية في خطابه يقوم على رغبته في التقرب من المرسل إليه وتقريبه، لعلاقة حسنة تربطه بالمخاطب أو لتأسيس علاقة تربطه به، بغية تفاعله مع الخطاب المرجو له وتأثره به. وهي استراتيجية تهتم بالعامل الأخلاقي والتلطف في الحوار دون إغفال الاهتمام بالقصد وتبليغه للمتلقي، ومن مسوغات الاستراتيجية التضامنية " استعمالها في الحقول التعليمية، حيث يكون التأدب والتخلق في الخطاب مع الطالب وسيلة تيسر الفهم، وتزرع الحب، فتصبح طريقا للعلم، وسبيلا إلى المعرفة" [xxviii] فهي استراتيجية تناسب تعديل السلوك وتعد نموذجا للتربية السليمة.

ومن الوسائل اللغوية لهذه الاستراتيجية استخدام اسم العلم، وذلك بنداء المخاطَب باسمه أو كنيته للدلالة على القرب منه والتضامن معه، بدلا من استعمال الإشاريات في الإحالة إليه كالضمير (هو)أو الموصول الاسمي (الذي) ومثاله قوله تعالى مخاطبا نبيه محمد في حديث اختصام الملأ الأعلى: (يا محمد، قلت: لبيك ربِّ، قال: فيم يختصم الملأ الأعلى؟ قلت : في الكفارات ...) [xxix]

للغة أهمية بالغة في تحقيق الخطاب التضامني , ولها آليات ووسائل عديدة لتحقيق هذا الأسلوب فمن التضامن في خطاب الأحاديث القدسية ما جاء في قوله في حديث ستر الله على المؤمن في الدنيا والآخرة : (إن الله يدني المؤمن فيضع عليه كنفه ويستره فيقول: أتعرف ذنب كذا، أتعرف ذنب كذا؟ فيقول نعم أي ربِّ حتى إذا قرره بذنوبه ورأى في نفسه أنه هالك قال: سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم فيعطى كتاب حسناته، وأما الكافر والمنافقون فيقول الأشهاد: هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين) [xxx]

ويبين الله تعالى لطفه بعباده وتودده ورحمته بهم في الاستراتيجية التضامنية المتمثلة في السؤال المستخدم والذي هدفه التقرير لا المحاسبة في قوله : (أتعرف ذنب كذا ؟) , و (كذا) كلمة واحدة مركبة من كاف التشبيه وذا الاشارة كُني بها عن معين غير عدد , وتكرير الجملة للتعديد لا للتأكيد [xxxi]

كما تظهر الاستراتيجية التضامنية في ملامح عديدة من الأحاديث القدسية, ومن أمثلها إفساح المجال للظالم والمخطىء بالحوار وعرض و جهة رأيه تامة

كاملة , وهو من فقه الحوار وآدابه التربوية التي تُجنى من دراسة أساليب الأحاديث القدسية كقوله في حوار الله تعالى مع إبليس :(قال إبليس : يا ربّ ليس أحد من خلقك إلا جعلت له رزقا ومعيشة فما رزقي ؟ قال: مالم يُذكر اسم الله عليه) [xxxii]

و تتجلى التربية بالرحمة في الأحاديث القدسية باستخدام الاستراتيجية التضامنية، ولتوجيه النفوس والتأثير فيها، لتعديل السلوك وتوجيه المعتقدات وتغيير المفاهيم يتجلى هذا النوع من التربية ، فحوار إبليس لربه فيه طلب رحمة ممن هو مصدر الرحمة والعطاء، ولعل نداء إبليس لربه بصيغة (يا ربِّ) وسؤاله بتخصيص رزق له، يظُهر اعترافه بحاجته لرحمة الله تعالى ربه كما يُظهر الخطاب أدب الحوار مع الطرف المخالف, فيرسم الحديث نموذجا للتعامل التضامني من الله تعالى الذي يملك سلطة الوجود كله. وهذه صورة من صور القداسة الأخلاقية التي يجب أن تكون درسا عمليا ومنهجا سلوكيا في آداب الحديث والحوار.

ثانيا: الاستراتيجية التوجيهية :

"لا يعد الفعل التوجيهي فعلا لغويا فحسب, لكنه يعد وظيفة من وظائف اللغة التي تعنى بالعلاقات الشخصية حسب تصنيف" هاليدي" إذ إن اللغة تعمل على أنّها تعبير عن سلوك المرسل وتأثيره المرسل إليه وسلوكه وهكذا يصنفها "جاكبسون" إذ يسمى وظيفة التوجيه في اللغة بالوظيفة الايعازية , أو الندائية , وكذلك يوضّح "روبول" بأنّه يمكن أن نتحدث لنجعل شخصا آخر يتصرف كما في حالة الأمر والنصيحة أو الرجاء أو الرفض أو المنع ...الخ "[xxxiii] وهذه المقاصد – يضيف الشهري– هي ما ينبغي المرسل إنجازها , كما أن هذه الخصائص في اللغة هي ما يعول عليه المرسل عند إنتاجه خطابه .

وتتخذ أفعال التوجيه تصنيفا معينا كأفعال الأمر والنّصح , وتتدرج قوتها طبقا لدرجة السلطة , لذا فاستعمال اللغة لا يقتصر على البعد التواصلي الوصفي أو على التمثيل أو التبرير بالحجج , ولكنه استعمال تفاعلي مدفوع بالرغبة في تحقيق السلطة , والسيطرة في المجتمع .

وعلى قدر حاجة متلقي الخطاب ومنفعته يكون العمل بالفعل التوجيهي " وقد تؤول منفعة الخطاب إلى المرسل إليه تعويلا على حاجته هو؛ مما يوجب عليه الالتزام بمقتضى الفعل التوجيهي ؛ لأن مخالفته تحرمه من تحقيق من تحقيق ما يسعى إليه , مثل حاجة عابر السبيل لمعرفة الطريق عندما يسال شخصا لا يعرفه بقوله : هل يمكن أن تصف لي الطريق إلى الجمعية الخيرية ؟ فيجيبه المرسل إليه دون التفات إلى التأدب , فلا يوجد علاقة بينهما , كما ان الحرية متروكة للمرسل انطلاقا من حاجة المرسل إليه ليصوغ خطابه مستعملا سلسلة من أفعال الأمر "[xxxiv]

الاستراتيجية التوجيهية توفّر لمرسل الخطاب آليات ووسائل لغوية تمكّنه من التأثير في أنواع المخاطبين بذلك تتفاوت درجات قوة أفعال التوجيه حسب المقاصد والسياقات التي ترد فيها الخطابات والمعرفة المسبقة بمتلقي الخطاب " وهذا ما يعطي الخطاب صبغته العامة , ويمنحه صفة الديمومة , ومناسبته لكل وقت , بما يمنح المرسل إنتاج الخطاب والإبقاء عليه في مكان بارز ليتجدد بمجرد ما يتلفظ به المرسل إليه عند إعادة قراءته , ولهذا فإن السمة الغالبة

فيه هي أن يكون خطابا مكتوبا مسجلا في شريط صوتي مثل الخطابات التي تبث في طائرات الركاب أو القطارات , أو عند زيارة الأماكن العامة مثلا " [xxxv]

"وهذا ما أكسب الأحاديث القدسية بقاء وتداولا ومناسبة لكل زمان ومكان وانسجامها مع كل المخاطبين والمواقف , فمرسل الخطاب هو خالقهم وله علم ومعرفة مسبقة بخصائصهم ومداخلهم, وهو أعلم بهم من أنفسهم , فكان خطابه ملما بكل خصائص الذات الإنسانية وبكل معايير التواصل والتفاعل مع الخطابات المتنوعة بتنوع السياقات والنفوس المرسل الخطاب إليها"[xxxvi]

6–تجليات الافتراض المسبق في الاحاديث القدسية :

تناول العرب القدامى مفهوم الافتراض المسبق عبر مفاهيم بلاغية منها: الإشارة, و الاكتفاء, و الانفصال, والتّجاوز, والتّلميح, وشجاعة الفصاحة, اذ سنقف على بعض هذه المفاهيم من خلال اسقاطها على بعض الاحاديث القدسية التي يرويها الامام البخاري.

الحديث الأول : وقد روى البخاريُّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: (يَلْقَى إِبْرَاهِيمُ أَبَاهُ آزَرَ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَعَلَى وَجْهِ آزَرَ قَتَرَةٌ وَغَبَرَةٌ، فَيَقُولُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ: أَلَمْ أَقُلْ لَكَ لاَ تَعْصِنِي؟ فَيَقُولُ أَبُوهُ: فَاليَوْمَ لاَ أَعْصِيكَ، فَيَقُولُ إِبْرَاهِيمُ: يَا رَبِّ إِنَّكَ وَعَدْتَنِي أَنْ لاَ تُخْزِيَنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ، فَأَيُّ خِزْيٍ أَخْزَى مِنْ أَبِي الأَبْعَدِ؟ فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: إِنِّي حَرَّمْتُ الجَنَّةَ عَلَى الكَافِرِينَ، ثُمَّ يُقَالُ: يَا إِبْرَاهِيمُ، مَا تَحْتَ رِجْلَيْكَ؟ فَيَنْظُرُ، فَإِذَا هُوَ بِذِيخٍ مُلْتَطِخٍ، فَيُؤْخَذُ بِقَوَائِمِهِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ). [البخاري – حديث: 3350].

شرح الغريب:

بذيخٍ متلطخٍ : الذيخ بكسر الذال ذكر الضباعِ والأنثى ذيخة, ومتلطخ : أي برجيعه أو بالطين كما في حديث آخر : بذيخ أمدر أي ملطخ بالمدر.

(قَتَرَة): القترة بفتح القاف والتاء والراء شبه دخان يغشى الوجه من هول أو كرب .

(غَبَرَة) : الغبرة بالتحريك أيضا الغبار.

وفي القرآن الكريم قوله عز وجل ُّ تم ته ثم ثه سم لخ لم لى لي مج مح مخ مم ّ عبس 41–42.

وفي التعليق عن الحديث يذكر الصبابطي بأن هذا حديث آخر يحذر من الشرك وسوء عاقبته, في تصوير دقيق ووصف عميق, يكشف عن تفاصيل حدث من أحداث يوم القيامة, ومشهد من مشاهده العجيبة, تتلاحق أنباء هذا الحديث, وتتابع صور هذا المشهد, حتى لكأننا نراه الآن رأى العين . فهذا هو ابراهيم عليه السلام في أمنه من الروع, واطمئنانه من الفزع, يلقى أباه آزر على كربه وذلته وهوانه فينكر عليه إنكار المشفق المعاتب :

(ألم أقل لك لا تعصني ؟ !) فيجيبه أبوه بغير تردد إلى الطاعة والاستسلام قائلا :(اليوم لا أعصيك).[xxxvii]

ويواصل الصبابطي شرحه للحديث وبعد اجابة آزر لابنه ابراهيم تثور عاطفة البنوة فيه فيدعو ربه طامعا ألا يخزيه في نجاة أبيه, ولكن هيهات هيهات, فهذا يوم لا ينفع فيه نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً, ولا يجزي مولود عن والده شيئاً, فإن حكم الله في هذا الأمر قاطع , ووعيده لا محالة واقع يقول الرب عز وجل لإبراهيم :إني حرمت الجنة على الكافرين . ويضيف (وينتهي المشهد العجيب بأن يمسخ

الله آزر ضبعاً, فيراه إبراهيم وقد ذهبت صورته البشرية التي كانت تذكره القرابة والرحم, فلا يعرفه !!) .[xxxviii]

الاشارة : فمن باب المفهوم القديم للافتراض المسبق نجد الاشارة وهي ويقصد بها هو أن يتضمن الكلام القليل معاني كثيرة : وتتأتى تلك المعاني بما يشتمله الكلام من إيماء أو لمحة دالة [xxxix] وذهب ابن رشيق القيرواني إلى أن " الإشارة من غرائب الشّعر وملحه, وبلاغة عجيبة تدل على بعد المرمى وفرط المقدرة, وليس يأتي بها إلاّ الشّاعر المبرز, والحاذق الماهر. وهي في كل نوع من الكلام لمحة دالة , واختصارا وتلويح يعرف مجملا ومعناه بعيد من ظاهر لفظه " [xl]

فالمتكلم عندما يلجأ إلى الإشارة لإيصال المعاني الكثيرة باللفظ القليل والكلام المختصر , فإنّه يعتمد على الافتراض المسبق عند المتلقي والذي يمكنه من فهم المعاني المقصودة دون تطويل , ولكن إذا كانت تلك الإشارة ليست كافية لتبليغ المعنى أو أن المتكلم أخطأ في تقدير فهم المتلقي وبما لديه من افتراض مسبق يمكنه من فهم المعنى فإنه حينئذ يقع في سوء الفهم الذي قد يدفعه إلى السؤال والاستفسار أو أن يتوصّل إلى معنى غير المراد .

ففي الحديث افتراض مسبق دلت عليه الإشارة في خطاب إبراهيم لأبيه آزر قوله :(ألم أقل لك لا تعصني ؟) فهذا الاستفهام إنكاري فيه إشارة على أن آزر قد عصى إبنه إبراهيم بعبادته للأصنام ,كما في هذا الحوار إشارة أيضا إلى مجادلة ابراهيم لأبيه آزر التي حكاها القرآن الكريم قال تعالى: ٱ يخ يم يى يي ذٰ رٰ ىٰ ٌّ ّٰ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ ٱ ئر ئز ئم ئن ئى ئي بر بز بم بن بى بي تر تز تم تن تى تي ثر ثز ثم ثن ثى ثي فى في قى قي كا كل كم كى كي لم لى لي ما مم نر نز نم نن نى ني ىٰ ير ويعضدها قول آزر فيقول 41/45 يز يم ين يى ّ مريم أبوه:(اليوم لا أعصيك) ففيه إشارة إلى أنّه لن يعصيه في هذا اليوم وهو يوم اللقاء به يوم القيامة بعد أن رأى آزر ما رآه من هول الموقف . ففي هذا الكلام لمحة دالة واختصارا وتلويح عُرف معناه المجمل من ظاهر لفظه.

الطلب : ومن طرق التعبير عن الافتراض في هذا الحديث الطلب الذي جاء بصيغة الاستفهام , وقد اعتمده القرآن الكريم لحمل المجادل على التفكير , يذكر خولة عبد الحميد في أطروحته متحدثا عن الاستفهام (تركيب الاستفهام من أهم التراكيب التي اعتمدها القرآن الكريم في المجادلة , لما لهذا الأسلوب من قدرة على حمل المجادل على التفكير والتأمل الدّلالي, ليدخل دائرة الاقتناع , ويسير على خطى الحقيقة بنفسه, فيصل إلى القناعة الذاتية)[xli] .

ففي هذا الحديث نجد استخدام الاستفهام بالهمزة في قول ابراهيم لأبيه آزر: **ألم أقل لك لا تعصيني ؟** وقد خرج الاستفهام هنا إلى معان مجازية والغرض من ذلك التوبيخ والإنكار, فإبراهيم عليه السلام ينكر معصية والده ويوبخه لعبادته الأصنام . فالاستفهام يكون حقيقة إذا تطلب جواباً على سبيل الحقيقة , أو أن يخرج مجازاً معها لمعانٍ أخر كالإنكار أو التوبيخ أو التعجب أو التهكم وغيرها [xlii] وتكون الهمزة تقريراً وتحقيقاً [xliii] إذا دخلت على (ما) أو(لم) أو(ليس) .

النهي: ومن طرق التعبير عن الافتراض نجد النهي وهو (طلب الكف عن الفعل على وجه الاستعلاء والإلزام وله صيغة واحدة هي المضارع المقرون بلا الناهية)[xliv]

ففي الحديث ورد النهي من قبل ابراهيم موجها الخطاب لأبيه (**..لا تعصني..**) وهو خطاب على وجه الاستعلاء في حقيقته من نبي إلى فرد من الأمة وإن كان المُخاطَب أب دون محاباة في معصية الله , وقد جاء الخطاب بصيغة الفعل المضارع (تعصي) المسبوق بلا الناهية وغرضه الاستدراج وإرخاء العنان للخصم للاعتراف بالذنب وإقامة الحجة عليه, وينـقل الدكتور أحمد مـطلوب تعريفا للاستدراج بأنّه (التوصّل إلى حصول الغرض مـن المخاطب والملاطفة له في بلوغ المقصود من حيث لا يشعر به , وفي ذلك من الغرائب والدقائق ما يوثق السّامع ويطربه لأن مبنى صناعة التأليف عليها ومنشأها منها)[xlv] لذا أقرّ أبوه آزر بما اقترفه ورد في قوله :

.(اليوم لا أعصيك)

: الحديث الثاني

روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:(يَعقِدُ الشَّيْطَانُ عَلَى قَافِيَةِ رَأْسِ أَحَدِكُمْ إِذَا هُوَ نَامَ ثَلاَثَ عُقَدٍ يَضْرِبُ كُلَّ عُقْدَةٍ عَلَيْكَ لَيْلٌ طَوِيلٌ ، فَارْقُدْ فَإِنِ اسْتَيْقَظَ فَذَكَرَ اللَّهَ ، انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ ، فَإِنْ تَوَضَّأَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ ، فَإِنْ صَلَّى انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ ، فَأَصْبَحَ نَشِيطًا طَيِّبَ النَّفْسِ ، وَإِلَّا أَصْبَحَ خَبِيثَ النَّفْسِ كَسْلاَنَ)[xlvi]

الشرح

اختلف في هذه العقد فقيل: هو على الحقيقة , وأنه كما يعقد السّاحر بسحره, وقيل: هو على المجاز كأنّه شبه فعل الشيطان بالنّائم بفعل السّاحر بالمسحور . وفي هذا الحديث دلالة على شدة كيد الشيطان للإنسان, وأن المسلم لابد له من صبر وقوة في مكابدة سلطانه على النّفس, وفيه بيان أن سلاح المؤمن الذي يفلت به مـــن أسر الشيطان وعقده هو الوضوء والطّاعة, وأن الله سبحانه وتعالى يـجب من عبده المؤمـن مـــجاهدة نفسه ومعالجتها بالطاعات , وأنّه يجزيه على ذلك إجابة دعائه وتلبية رجائه[xlvii].

الشرط : فمن طرق التعبير عن الافتراض نجد الشرط بالأداة " إن" و "إنْ" من حروف الشرط ."

وهي عند سيبويه أم الجزاء فقال عنها :((وزعم الخليل أنّ (إنْ) هي أم حروف الجزاء فسأله: لم قلت ذلك ؟ فقال : من قبل أنى أرى حروف الجزاء قد يتصرفن فيكن استفهاما , ومنها ما يفارقه فلا يكون فيه الجزاء, وهذا على حال واحدة أبدأ لا تفارق المجازاة))[xlviii] وقد فرّق عبد القاهر الجرجاني بين استعمال (إنْ) و(إذا) في الشـــرط ورأى أنّ (إنْ) ((فيما يترجح بين أن يكون وأنْ لا يكون, وإذا فيما علم أنّه كائن)[xlix] وقد أضاف الزمخـــشري معنى آخر ل(إنْ) إذ رأى أنّها تستعمل في مواضع اليقين لأغراض بلاغية دقيقة منها التهكم .

ويرى الدكتور فاضل السامرّائي أنّ(أنْ) تستعمل ((في المعاني المحتملة الوقوع , والمشكوك في حصولها, والموهوبة والنّادرة والمستحيلة وسائر الافتراضات الأخرى , فهي لتعليق أمر بغيره عموما))[l]

ففي هذا الحديث نجد أداة الشرط في (**فَإِنِ اسْتَيْقَظَ فَذَكَرَ اللَّهَ ، انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ**) في المعاني المحـــــتمل حصولها؛ فالعبد إذا استيقظ من نومه وذكر الله انفرط عقد الشيطان وضعف وحُلت عقدة من عُقدِه وهذا مشروط بذكر الله وهو محتمل الوقوع , ويتوالى ذكر (إنْ) الشرطية في الحديث (**فإن توضأ انحلت عقدة**) ثانية, ولاتنحل هذه العقدة إلا بالوضوء وهو حاصل محتمل الوقوع أيضاً, ويليه الشرط الأخير باستخدام (إنْ) في الحديث (**فإنْ صلّى انحلت عقدِه كلها**) وذلك لا

يكون إلاّ بالصّلاة وهي شرط انحلال العُقد وهو حاصل ومحتمل الوقوع أيضاً

فقد تستعمل (إنْ) في الأمور الممكنة الحصول لأغراض , منها(التوبيخ على الشرط وتصوير المقام لاشتماله على ما يقلعه عن أصله لا يصلح إلا لفرضه كما يُفرض المحال)[li]

الحديث الثالث:

عن ابي هريرة ض أن رسول الله قال :(**أنفق أُنفق عليك) وقال :(يد الله ملأى لا تغيضها نفقةٌ سحَّاءُ الليلَ والنّهار) وقال :(أرأيتم ما أنْفَقَ منذُ خلق السّماء والأرض فإنّه لم يغض مـــا في يده, وكان عرشه على الماء , وبيده الميزانُ ويخفض ويرفع) وفي رواية (وبيده الأخرى القبض يرفع ويخفض)** [lii]

الشرح: (سحّاءَ): دائمة الصب والهطل بالعطاء .**(لا تغيضها نفقة):**لا تنقصها.

الموت. وفي الحديث إثبات يدين الله تعالى :**(القبض)** , وهما صفتان من صفات ذاته , وليس بجارحتين خلافاً للمشبهة من المثبتة , وللجهمية من المعطلة وقوله في الحديث :(وبيده الأخرى الميزان) يدفع تأويل اليد هنا بالقدرة , وكذا في حديث ابن عباس رفعه :((أول ما خلق الله القلم , فأخذه بيمينه وكلتا يديه يمين)) ويـــدل على أن اليدين ليستا بمعنى القدرة أن في قوله تعالى:ٱ خج خم سج سخ سم صح صخ صمضج ضخ ضم طح ظم عج ّ ص 75.

لإبليس إشارة إلى المعنى الذي أوجب السجود, فل كانت اليد بمعنى القدرة لم يكن بين آدم وإبليس فرق لتشاركهما فيما خلق كل منهما به , وهي قدرته و ولقال إبليس : وأي فضيلة له عليّ , وأنا خلقته بقدرتك ؟ فلما قال :ٱ دلّ على 12نخ نم نى ني هج هم هى ّ الاعراف [liii]. اختصاص آدم بأن الله خلقه بيديه

الأمر: ففي هذا الحديث يظهر الافتراض في الطلب والمتمثل في الأمر ,والأمر هو طلب الفعل على وجه الاستعلاء والإلزام , أو كما قال العلوي : وهو صيغة تستدعي الفعل, أو قول ينبئ الفعل من جهة الغير على جهة الاستعلاء[liv], وله أربع صيغ وهي: فعل الأمر, المضارع المقرون بلام الأمر, اسم فعل الأمر, المصدر النائب عن فعل الأمر. وقد يخرج الأمر إلى أغراض مجازية تفهم من سياق الكلام , :الدّعاء, والالتماس ,والتمني, والنصح والارشاد, والتخيير والاباحة, والتعجيز, و التهديد, والتسوية, والاهانة, والتسخير, والاحتقار, والتسليم, والندب والتعجب , والتلهيف والتحسّر, والوجوب, والخبر, والامتنان, والإكرام, والتكوين, والتفويض والتكذيب, والمشورة, والاعتبار[lv]

ويتعلق الأمر في هذا الحديث بفعل الأمر**(انفق)** الذي جاء بصيغة فعل الأمر وغرضه البلاغي الامتنان , فالله عز وجل ممتن على عبده بالإنفاق عليه وإغداقه بالنعم , لذا وجّه له خطابه هذا وأمره بالنفقة على عباده وعلى من يعول ولا يخشى الفاقة في ذلك فقال (أَنفِق أُنفقْ عليك) .

النفي: (وهو عبارة عن الإخبار عن ترك الفعل)[lvi] , والنفي أسلـوب من أساليب اللـغة العربية يراد به نقض فكرة وإنكارها ضد الإثبات , وينقسم إلى قسمين, نفي صريح ويكون تبعا لزمن النفي وأنواعه :

أ–النفي في الحال: وأدواته { لا, ليس,

. ما, إن, لات }

ب–النفي الماضي : ومن أدواته {لم, لمّا}

ج–النفي في المستقبل: ومن أدواته { لن}[lvii].

وآخر ضمني (..وقد يدل على النفي الضمني أفعال الظن)[lviii]. ويظهر الافتراض بدلالة الـــــنفي باستخدام الأداة (لا) التي تدخل على الفعل المضارع , ففي الحديث **(لا تغيظها نفقة)** وهو نفي صريح بان يد الله ملأى لا يمكن أن يُنقصها البذل والعطاء في الليل ولا في النهار فقد أفد أسلوب النفي ب(لا) الاستمرارية والدوام . أيضا في الحديث **(..لم يغضْ ما في يده ..)** دلالة النفي في الماضي باستخدام (لم) بدخولها على الفعل المضارع (يغض) وهو نفي صريح أيضا أفاد النفي في الماضي واستمراريه في المستقبل؛ والمعنى أنّه منذ أن خلق الله السموات والأرض وهو في إنفاق دائم لم تنقص خزائنه, ولم ينفذ ما في يده تبارك وتعالى إلى أن يرث الأرض ومن عليها , وفيه دلالة على عِظم رزقه وخيراته سبحانه وتعالى .

الاستفهام: "هو طلب العلم بشيء لم يكن معلوما من قبل , وهو الاستخبار الذي قالوا فيه أنّه طلب خبر ما ليس عندك أي طلب الفهم, ومنهم من فرّق بينهما وقال أن الاستخبار ما سبق أولا ولم يفهم حق الفهم , فإذا سألت عنه ثانيا كان استفهاما , ولكن المستعمل في الدراسات البلاغية مصطلح الاستفهام"[lix]

وجاء في الحديث باستخدام أداة الهمزة **(أرأيتم ما أنفق)** وتستعمل الهمزة لطلب التصديق وهـــو إدراك النسبة أي تعيينها , ويكون الجواب عنها ب(نعم) أو(لا) والتصور [lx] وقوله (أرأيتم) أي أخبروني ثم جاء الحرف المصدري (ما) وهي مجردة عن معنى الظرفية فحذف الظرف وخلفته ما وصِلتها , فيكون تأويل الكلام (أرأيتم نَفَق) فسمي (ما) موصولا حرفيا لأنّه يوصل بما بعده فيجعله في تأويل المصدر [lxi] وفي ذلك غرض مقصدي وهو إلجام الخصم بالحجة .

و" إلجام الخصم بالحجة " من الدلالات التي كثرت تسميات العلماء لها , فسُميت محاجّة واستدلالا بالتعليل , وقد عرّف الجرجاني المحاجّة بقوله:(وهو الاحتجاج على المعنى المقصود بحجّة عقلية , تقطع المعاند له فيه) [lxii] وأما الاستدلال فيعرفه الجرجاني :" تقرير الدليل لإثبات المدلول سواء كان ذلك من الأثر إلى المُؤثر فيسمى استدلالا إنّياً, أو بالعكس ويسمى استدلالا لمّياً, أو من أحد الأثرين إلى الأخر"[lxiii]

فالمولى عزّ وجل ألجم عباده بالحجّة الدامغة وأشهدهم على فضلِ وكرمِ عطائه بتقرير الدليل لإثبات المدلول بحجة واقعية , فمنذ أن خلق السّماء والأرض وهو عزّ وجل في عطاءٍ مستمر وتكرّمٍ منهمر لم ينقص ما في يده , ويعضّده الحديث القدسي الاخر الذي يرويه مسلم :(...ياعبادي! لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، فَسَأَلُونِي، فَأَعْطَيْت كُلَّ وَاحِدٍ مَسْأَلَته، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ...) .

7–:الخاتمة :

– يعتبر الافتراض أسلوب من أساليب التعبير في اللغة العربية؛ ويعني إيجاد علاقة بين أمرين أو أكثر يكن الأول فيه متصور الحدوث , والأمر الثاني نتيجة ذلك التصور, ويندرج الافتراض ضمن الأساليب البلاغية التصويرية يستعمل فيه التخييل والتمثيل لرسم صورة لا وجود لها في الواقع , ويترتب على هذا الوجود نتائج

تتحقق بناء على ذلك . إلاّ أن القدامى من علماء اللغة والبلاغة والتفسير لم يتوسّعوا في هذا الاسلوب بل كانوا يشيرون إليه إشارات يسيرة متمثّلة في بعض المعاني والدلالات التي ترتبط بهذا التعبير وهي لا تشمل إلا جزءا أو جانبا معينا من جوانب هذا الأسلوب .

– لقد ارتبط أسلوب الافتراض بعلوم البلاغة الثلاثة , فلم يختص بعلم من علومها فهو كأسلوب معنوي يوجد في الشّرط والاستفهام والأمر والنّهي والنفي وغيرها..

– خرج الافتراض إلى عدة دلالات يحددها السياق الذي وردت فيه, وهي في مجملها إمّا احتجاجية على شكل عبارة كلامية حاملة الدليل أو الحجة على الخصم المنازع , وإمّا أن تأتي لتأدية أغراض بلاغية, فالدلالات الاحتجاجية مثل (الاستدراج –إلجام الخصم بالحجة – التسليم– التعجيز) وغيرها, أمّا الدلالات البلاغية فمثل (التعريض–التوبيخ– التهكم–الإنكار– التكذيب–الوعيد) وغيرها.

– يقوم الحديث القدسي على استراتيجيات متنوعة تيسر عملية التخاطب وتؤدي إلى تحقيق التفاعل والتأثير المقصود منها في مختلف أنواع المتلقين .

– إن تطبيق النظريات اللغوية الحديثة على الأحاديث القدسية لا يعني إخضاع النصوص المقدسة لآليات هذه المناهج البشرية المتغيرة والمتبدلة , فالنصوص المقدسة رغم صِلتها بالواقع الذي نزلت فيه إلا أنها تُخضِع الواقع لها وتهيمن عليه لإصلاحه وهدايته .

iهوامش المقال:

القرآن الكريم رواية حفص.

361م), ص1988 (دار صادر, بيروت لبنان , دط,1لسان العرب ,ابن منظور, ,ج –

240م), ص 1977البستاني, بطرس, محيط المحيط,(مكتبة لبنان, بيروت, – ii

iii – الفراهيدي, الخليل ابن احمد, كتاب العين, (دار الكتب العلمية, بيروت لبنان ج–01ط,01/2003 ص 419م)

iv – ابن منظور لسان العرب , مادة (دين)ج 13 ص 169 .

v – مقاييس اللغة 2/319(دين) مادة .

vi – محمود أحمد نحلة , آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر, (دار المعرفة الجامعية, د ط, 2002 ص 27م)

vii – كاترين كيربرات أوركوني, المضمر, ترجمة ريتا خاطر,(المنظمة العربية للترجمة, الحمراء, بيروت,ط 1, 2008 ,ص م), 48

viii – نفسه 49

ix– حمو الحاج ذهبية, لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب(الأمل للطباعة والنشر والتوزيع, المدينة الجديدة, تيزي وزو) ص 136

x – التداولية عند العلماء العرب , مسعود صحراوي(دار الطليعة,بيروت,ط 1 2005 ص 30,31م)

xi – المرجع في التعليمية ,الدكتور عبد القادر لورسي, (جسور للنشر والتوزيع, الجزائر, ط 1, 2015 ,ص 181م) .

xii – استراتيجيات الخطاب ,عبد الهادي بن ظافر الشهري ,دار الكتاب الجديد المتحدة بيروت لبنان,ط 1 ,2004 ص م) 55/56

xiii – نفسه ص 55/56

xiv – الفروق اللغوية , أبو هلال العسكري , الحسن بن عبد الله (ت 395, القاهرة , مكتبة القدس , 1353ه),ص 27ه)

xv – معجم مقاييس اللغة , ابن فارس (ت 495ط,معجم مقاييس اللغة , عيسى 1ه), تحقيق عبد السلام هارون ,(دار إحياء الكتب العربية , القاهرة , مادة حدث, ص2ه,) ج1366البابي الحلبي ,مادة حدث36 , ص2ه,) ج1366البابي الحلبي .

xvi – لسان العرب لابن منظور, (دار الحديث , القاهرة , مادة حدث, ج 2,ص 249.)

xvii – الكليات, معجم في المصطلحات والفروق اللغوية, أبو البقاء الحسيني الكفوي(ت 1094 قابلة على نسخة خطية وأعده هـ) ووضع فهارسه, درويش محمد المصري,(مؤسسة الرسالة, بيروت ط, 1998ه,2,1419 ص 152م),

xviii – أصول الحديث وعلومه د, محمد عجاج الخطيب ,(دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع , ط 4 , 1981 , ص 26م).

xix – صحيح الاحاديث القدسية ,عصام الدين الصبابطي ,(دار الحديث القاهرة ,ط 1, 1456/2005 ص 13م.)

xx – شهاب الدين أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيثمي الشافعي –فتح المبين لشرح الأربعين (دار المنهاج للنشر والتوزيع –لبنان, بيروت , ط 2, 1430 , ص 2009ه, 201م),

xxi – الملا على القارىء –الأحاديث الأربعينية –(المطبعة العلمية –حلب–سوريا– 2م)–ص 1927

xxii – الكليات– معجم في المصطلحات والفروق اللغوية, مرجع سابق, ص 722

xxiii – – الملا على القارىء– الاحاديث الاربعينية ص 2

xxiv – المتلقي في الخطاب القرآني حكيمة بوفرومة, رسالة دكتوراة, جامعة مولود معمري, تيزي وزو, 2010 ص 36–361.

xxv – استراتيجيات الخطاب مقاربة تداولية , عبد الهادي بن ظافر الشهري, مرجع سابق, صر 44

xxvi – نفسه ص 123

xxvii – نفسه ص 87

xxviii – نفسه ص 261 .

xxix (، رقم 741 ، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية، مصطفى العدوي: ص 4744حديث صحيح أخرجه الترمذي: 844

xxx– 74 والصحيح المسند من الأحاديث القدسية , مصطفى العدوى : ص 2441صحيح البخاري

xxxi –ج م) , 2002, 1, ط2المنهل الحديث في شرح الحديث , موسى شاهين لاشين,(دار المدار الاسلامي ,بيروت, لبنان ,291.ص :

xxxii – والصحيح المسند من الأحاديث القدسية , مصطفى العدوي 8/126حديث إسناده صحيح اخرجه أبو نعيم , الحلية 125. رقم 190ص

xxxiii – 324استراتيجيات الخطاب مقاربة تداولية , عبد الهادي بن ظافر الشهري , مرجع سابق , ص

xxxiv – 326نفسه ص

xxxv – 323,324نفسه ص

xxxvi – مستويات الخطاب (دراسة نحوية تطبيقية في الصحيح من الأحاديث القدسية) إيمان إسماعيل علي الذوادي, (كلية دار العلوم , جامعة القاهرة , 2017م).

xxxvii – 21,22صحيح الاحاديث القدسية ,عصام الدين الصبابطي مرجع سابق, ص

xxxviii – 22نفسه ص

xxxix – ابن قدامة , قدامة بن جعفر بن زياد , نقد الشعر , تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي , بيروت (دار الكتب العلمية د ط), 154,155

xl – 5القيرواني , أبو علي الحسن بن رشيق , العمدة في محاسن الشعر وآدابه , تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد , ط 1م ج1981(دار الجيل بيروت , ص 302.)

xli – بنى الجدل في الخطاب القرآني, خولة عبد الحميد ,اطروحة دكتوراه , جامعة بغداد, كلية التربية للبنات 2006/115م.

xlii – البلاغة والتطبيق أحمد مطلوب وكامل حسن البصير, ط 2(مكتبة اللغة العربية, بغداد 1410,1990هـ, م), 132/138ص

xliii – ت عبد الفتاح اسماعيل شابي 386معاني الحروف, علي بن عيسى الرماني (ت 384هـ) (مكتبة 4هـ) , والجنى الداني في حروف المعاني, الحسن بن القاسم المرادي(41/43م) ص2008هـ, 1429,الهلال,بيروت, 30/34.م), ص 1992هـ,1413,(دار الكتب العلمية, بيروت,1فخر الدين قباوة ,محمد نديم فاضل,ط 749 ت

xliv – البلاغة والتطبيق , أحمد مطلوب, مرجع سابق, 129

xlv –معجم المصطلحات البلاغية وتطورها, أحمد مطلوب, (مطبعة المجمع العلمي العراقي, 1406هـ,1986ص, 1/120.م)

xlvi –ج البخاري 3/1142

xlvii –– 48صحيح الاحاديث القدسية ,عصام الدين الصبابطي , مرجع سابق ص

xlviii – 208كتاب سبويه, أبو بشر عثمان قنبو(, المرادي

xlix –ت 471دلائل الاعجاز, عبد القاهر الجرجاني(مكتبة الخانجي, القاهرة , 4هـ) ت عبد السلام هارون ,ط180هـ), , وينظر الجنى الداني في حروف المعاني تعليق وشرح محمد عبد المنعم خفاجي ,ط3/63,)ص2000هـ,1425 , (مكتبة 1 القاهرة1389هـ,1969 /ص 118.م)

l – معاني النحو, فاضل السامرائي,ط 2,شركة العاتك ,1423هـ, 2003م, 4/59.

li – الايضاح في علوم البلاغة, الخطيب القزويني(ت 739هـ)–ت محمد عبد القادر الفاضلي, (المكتبة العصرية, بيروت, 1428هـ, ص 2007م), 97.

lii – صحيح البخاري ج 8 /4684

liii – صحيح الاحاديث القدسية ,عصام الدين الصبابطي , مرجع سابق ص 74

liv – البلاغة والتطبيق , احمد مطلوب , مرجع سابق, ص 2 123/124

lv – نفسه 124.129.

lvi – التعريفات, علي بن محمد الجرجاني (ت816هـ), ط1 (مؤسسة التاريخ العربي, بيروت 1424هـ, 2003م) ص 197

lvii – جمال محمد النحال ,أساليب النفي والتوكيد في شعر رثاء شهداء انتفاضة الأقصى, الجامعة الاسلامية غزة, 2007م, ص 04

lviii – أحمد ماهر البقري أساليب النفي في القرآن,(دار المعارف,ط 1, 1998, ص 128 .م),

lix – البلاغة والتطبيق , أحمد مطلوب ,مرجع سابق ص 131

lx – نفسه 131

lxi – جامع الدروس العربية, الشيخ مصطفى الغلاييني, (المكتبة العصرية للطباعة والنشر, صيدا بيروت,ط 1,1468هـ, 2007م), ص 588

lxii – البرهان في علوم القرآن, بدر الدين الزركشي 'ت مصطفى عبد القادر ج 3ط, (دار الكتب العلمية 1 عطا, 1408هـ, 1988م.)/ص 286.

lxiii – التعريفات, الجرجاني ,مرجع سابق, ص 18.